

# ستون فائدة في الإيمان بالكتب

إعداد

ماجد بن سليمان الرسي

صفر، من عام ١٤٤٥ هجري

## الإيمان بالكتب

الكتب جمع كتاب، والكتاب بمعنى (مكتوب)، والمراد بالكتب هنا الكتب التي أنزلها تعالى على رسوله رحمة للخلق، وهداية لهم، ليصلوا بها إلى سعادتهم في الدنيا والآخرة.<sup>١</sup>

وقد أرسل الله مع كل رسول كتابا، رحمة للخلق، وهداية لهم، ليهتدوا به إلى الصراط المستقيم، وينتفعوا به في الدنيا والآخرة، قال تعالى ﴿لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان﴾<sup>٢</sup>.

وقد أوجب الله تعالى الإيمان بجميع الكتب المنزلة، قال تعالى ﴿قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون﴾<sup>٣</sup>، وقال تعالى لنبية محمد (صلى الله عليه وسلم) ﴿وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب﴾.

والمقصود بالإيمان بالكتب في الآية هو الإيمان بها على وجهها الذي أنزلت به على الأنبياء قبل التحريف، وإلا فمن المعلوم أن جميع الكتب المنزلة قد أصابها التحريف والتبديل إلا القرآن، قال تعالى ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾<sup>٤</sup>.

### فصل في بيان ما يتضمنه الإيمان بالكتب

الإيمان بالكتب يتضمن خمسة أمور<sup>٥</sup>، نذكرها على سبيل الإجمال ثم نفصل القول فيها:

الأول: الإيمان بأنها أنزلت من عند الله حقاً.

الثاني: الإيمان بما علمنا اسمه منها.

الثالث: تصديق ما صحَّ من أخبارها.

الرابع: العمل بأحكام ما لم يُنسخ منها.

الخامس: الإيمان بأنها تدعو إلى عقيدة واحدة وهي التوحيد.

<sup>١</sup> انظر «شرح ثلاثة الأصول» لابن عثيمين، ص ٩٤ .

<sup>٢</sup> سورة الحديد: ٢٥ .

<sup>٣</sup> سورة البقرة: ١٣٦ .

<sup>٤</sup> سورة الحجر: ٩ .

<sup>٥</sup> يراجع «شرح ثلاثة الأصول» لابن عثيمين رحمه الله، ص ٩٤، فقد ذكر الشيخ أربعة أمور، ومضى الله بواحدة.

## تفصيل

**الأول:** الإيمان بأنها أنزلت من عند الله حقاً، كما قال تعالى في وصف المؤمنين ﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله﴾، وقال تعالى ﴿قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون﴾<sup>١</sup>، وقال تعالى ﴿وقل آمنتم بما أنزل الله من كتاب﴾<sup>٢</sup>. وإنزال الكتب كان من طريق الوحي، فقد أوحى الله بالكتب إلى الملك المختص بإنزال الوحي من السماء إلى الأنبياء، وهو جبريل، ثم بلغ جبريل كل نبي كتابه الخاص به.

## نبذة عن إنزال القرآن

جبريل رسول ملك، ومحمد رسول بشر، والله يصطفي من الملائكة رسلاً لأداء مهام معينة، ويصطفي من الناس رسلاً لأداء مهمة تبليغ الرسالة، فاصطفى لنقل كلامه (القرآن) الرسول الملائكي وهو جبريل، واصطفى لنقل القرآن الذي يحمل رسالة الإسلام رسوله البشري وهو محمد  $\rho$ ، فنزل الرسول الملائكي بالقرآن على الرسول البشري ولقنه إياه أجزاءً على مدى ثلاث وعشرين سنة، بحسب الأحداث.

واختيار الله تعالى لجبريل عليه السلام دون غيره من الملائكة للقيام بهذه المهمة إنما هو لما فيه من صفات القوة والأمانة وغيرهما، وقد وصفه الله بذلك في القرآن، فقال ﴿نزل به الروح الأمين \* على قلبك لتكون من المنذرين \* بلسان عربي مبين﴾، وقوله ﴿نزل به﴾ أي نزل بالقرآن، والروح الأمين هو جبريل.

**الثاني:** الإيمان بما علمنا اسمه منها، وهي ستة، صحف إبراهيم وموسى، والتوراة التي أنزلت على موسى عليه السلام، والإنجيل الذي أنزل على عيسى عليه السلام، والزيور الذي أوتيته داود عليه السلام، والقرآن الذي أنزل على محمد  $\rho$ ، وبعض العلماء يقول إن صحف موسى هي التوراة، فيكون عدد الكتب خمسة.

وأما ما لم يأت ذكر اسمه من تلك الكتب فنؤمن به إجمالاً.

## تنبيه

<sup>١</sup> سورة البقرة: ١٣٦ .

<sup>٢</sup> سورة الشورى: ١٥ .

الذي ينبغي على المؤمن الإيمان به هو الإيمان بالكتب الأصلية التي أنزلها الله على أنبياءه، وليس بما تحرف منها، فنؤمن مثلا بالتوراة التي أنزلها الله على موسى عليه السلام، ونؤمن بالإنجيل الذي أنزله الله على المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، فتلك هي التوراة وذلك هو الإنجيل، وليست الكتب المنتشرة الآن في أيدي اليهود والنصارى هي التوراة والإنجيل الأصليين اللذين أنزلهما الله على موسى وعيسى، وإن سَمَّوها بذلك، بل الذي بيد أهل الكتاب إنما هي إملاءات من أناس كتبوا ما سمعوه عن قبلهم، وفيها صواب وخطأ، ثم نسبها من بعدهم إلى التوراة والإنجيل الأصليين، فتتابعت القرون على هذا الاعتقاد، فضلوا وأضلوا.

بل الذي بيد النصارى الآن أربعة أناجيل وثلاث وعشرون رسالة، وهي أسفار تمت كتابتها من قبل أشخاص لم يثبت أنهم التقوا بالمسيح ورأوه لحظة واحدة، بل كتبوها بعد رفعه إلى السماء، وبينها من التناقض والاختلاف الشيء الكثير ...

وإذا أضيفت أسفار العهد القديم الستة وأربعون (المكونة من التوراة وغيرها) إلى أسفار العهد الجديد (الإنجيل) السبعة وعشرين صار مجموع الأسفار ثلاثة وسبعين، يؤمن البروتستانت بستة وستين منها، ولا يؤمنون بالبقية، بينما يؤمن الأرثوذكس والكاثوليك بها كلها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: وأما الإنجيل الذي بأيديهم فهم معترفون بأنه لم يكتبه المسيح عليه السلام، ولا أملاه على من كتبه، وإنما أملوه بعد رفع المسيح «متى» و «لوقا»، وقد ذكر هؤلاء أنهم ذكروا بعض ما قاله المسيح وبعض أخباره، وأنهم لم يستوعبوا ذكر أقواله وأفعاله.<sup>١</sup>

وقال أيضا: هذه المقالات الأربعة التي يسمونها الإنجيل - وقد يسمون كل واحد منهم إنجيلا - إنما كتبها هؤلاء بعد أن رُفِعَ المسيح، فلم يذكروا فيها أنها كلام الله، ولا أن المسيح بَلَّغَهَا عن الله، بل نقلوا فيها أشياء من كلام المسيح، وأشياء من أفعاله ومعجزاته، وذكروا أنهم لم ينقلوا كل ما سمعوه منه ورأوه.<sup>٢</sup>

فالحاصل أن الله أمر بالإيمان بالكتب الأصلية التي أنزلها الله على أنبياءه، وتلك هي التي وصفها الله بأنها هدى ونور، قال الله في القرآن عن التوراة ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾، وقال في القرآن عن الإنجيل ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾.

<sup>١</sup> باختصار يسير من «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» (٤٩١/١)، الناشر: دار الفضيلة - الرياض.

<sup>٢</sup> «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» (١٤/٢).

ولما تعرضت كتب الأنبياء للضياع ولم تحفظ ؛ أرسل الله نبيه محمدا ﷺ بالقرآن، وحفظه من التحريف والضياع كما قال تعالى ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾، والذكر هو القرآن.

والقرآن كلام الله، تكلم الله به حقيقة، ثم بلغه المَلَكُ جبريل إلى النبي محمد ﷺ، ثم بلغه النبي محمد لأصحابه، ثم حُفظ في الصدور، ثم حُفظ في الأوراق والقراطيس، ثم جُمع القرآن في كتاب واحد في عهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه، ثم نُسخَت النسخ على تلك النسخة إلى يومنا هذا، وصدق الله ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾.

**الثالث: تصديق ما صحَّ من أخبارها، كأخبار القرآن، والأخبار التي لم تُبدل أو تُحرف من الكتب السابقة، وأما ما لم يشهد القرآن والسنة بصدقه ولا كذبه فلا نصدقه ولا نكذبه، عملا بقول النبي (صلى الله عليه وسلم): ما حدّثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم، وقولوا (آمنا بالله ورسله)، فإن كان باطلا لم تصدقوه، وإن كان حقا لم تكذبوه.**<sup>١</sup>

**الرابع: العمل بأحكام ما لم يُنسخ منها، عملا بقول الله تعالى ﴿يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم﴾<sup>٢</sup>، وقوله تعالى ﴿أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده﴾<sup>٣</sup>، ومن الأحكام الغير منسوخة مثلا أحكام القصاص، قال تعالى عن التوراة ﴿وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص﴾، فهذا الحكم معمول به أيضا في شرعنا مع أنه من أحكام التوراة، لأن شرعنا لم يأت بخلافه ولم ينسخه.**

فإن قيل: فما الجمع بين التوجيه القرآني بالافتداء بهدي الأنبياء السابقين وبين قول الله تعالى ﴿لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا﴾<sup>٤</sup>؟

فالجواب من وجهين:

**الأول:** أن الافتداء المقصود هو الافتداء بالأموال التي اتفقت الشرائع عليها، لا كل مفردات الشرائع مما سيأتي ذكره قريبا إن شاء الله.

<sup>١</sup> رواه أبو داود (٣٦٤٤) عن أبي نَملة الأنصاري رضي الله عنه، وحسنه الشيخ شعيب الأرنؤوط في تحقيقه على «السنن»، وأصل الحديث عند البخاري برقم (٤٤٨٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

<sup>٢</sup> سورة النساء: ٢٦ .

<sup>٣</sup> سورة الأنعام: ٩٠ .

<sup>٤</sup> سورة المائدة: ٤٨ .

**الثاني:** أن يكون المقصود بالافتداء بشرائع من قبلنا هو العمل بما لم يُنسخ منها مما هو من الأمور الفرعية، كأحكام القصاص التي تقدمت، وكقول النبي  $\rho$  : إنا معاشر الأنبياء أمرنا أن نُعَجِّلَ إفطارنا، ونؤخر سحورنا، ونضع أيماننا على شمائلنا في الصلاة.<sup>١</sup>

### فائدة

قال الشوكاني رحمه الله<sup>٢</sup>: وقد فصل بعضهم تفصيلا حسنا فقال: إنه إذا بلغنا شرع من قبلنا على لسان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أو لسان من أسلم كعبد الله بن سلام و كعب الأحبار ولم يكن منسوخا ولا مخصوصا ؛ فإنه شرع لنا، ومن ذكر هذا القرطبي.<sup>٣</sup>

وبناء على هذا ؛ فلا يجوز العمل بأي حكم من الأحكام الواردة في الكتب السابقة إلا ما صح منها وأقره القرآن أو السنة الصحيحة.<sup>٤</sup>

**الخامس** مما يتضمنه الإيمان بالكتب: الإيمان بأنها تدعو إلى عقيدة واحدة، وهي التوحيد بأنواعه الثلاثة؛ توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات.

وأما الأحكام الشرعية التفصيلية فقد تتفق فيها الكتب من جهة العموم وتختلف من جهة التفصيل، بحسب ما تقتضيه حكمة الله واختياره لما يناسب عباده الذين وُضعت لهم تلك الشريعة، كما قال تعالى ﴿وَرَبِّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾، وقال تعالى ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾.

فالأمر بالصلاة والصوم - مثلا - ثابت في جميع الشرائع، ولكن كيفية الصلاة والصوم تختلف من شريعة لأخرى.

وإلى هذا الاتفاق والاختلاف في الشرائع أشار النبي  $\rho$  بقوله: والأنبياء إخوة لِعَلَّات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد.<sup>١</sup>

<sup>١</sup> رواه أبو داود الطيالسي (٢٧٦٦) وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما، وصححه الألباني في «الصحيحة» برقم (٢٢٨٦).

<sup>٢</sup> هو الشيخ الفقيه الأصولي محمد بن علي بن محمد الشوكاني، اليمني، درس على شيوخ كثير في فنون كثيرة، وألف كتبا كثيرة منها «إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول»، وطُبع له مجموع فتاوى بعنوان «الفتح الرباني في فتاوى الشوكاني»، وفي التفسير له كتاب «فتح القدير»، ورد على أرباب القول باتحاد الخالق والمخلوق في كتاب «الصوامر الحداد القاطعة لعلائق مقالات أرباب الاتحاد»، وغيرها من الكتب والرسائل التي بلغت ١١٤ مؤلفا، توفي رحمه الله سنة ١٢٥٠. انظر ترجمته لنفسه في «البدر الطالع»، وانظر «الأعلام» للزركلي (٢٩٨/٦).

<sup>٣</sup> «إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول» (٩٨٥/٢) تحقيق: سامي بن العربي الأثري، الناشر: دار الفضيلة - الرياض.

<sup>٤</sup> يراجع للفائدة كلام الشنقيطي رحمه الله في هذا الموضوع في تفسيره «أضواء البيان» (٨١/٢)، عند تفسير قول الله تعالى في سورة المائدة (من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض) من قوله: وحاصل تحرير المقام في مسألة «شرع من قبلنا».

فقوله (إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ): كلمة (عَلَّات) جمع (عَلَّة)، وهي الضَّرَّة، وهي المرأة يكون لزوجها امرأة أخرى، وفي هذا الحديث شَبَّهَ النبي ﷺ الأنبياء بالأبناء من أب واحد وأمّهات شتى، فالأمّهات هن الشرائع وفيها يحصل الاختلاف، والأب هو أصل الدين وهو عبادة الله وحده، والدليل على هذا قول الله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾، وقال ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾، وقال الله لنبيه محمداً ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾.

وسياقي قريبا إن شاء الله مزيد تفصيل لمواطن اتفاق الكتب السماوية واختلافها.

**السادس مما يتضمنه الإيمان بالكتب: الإيمان بأن القرآن حاكمٌ ومهيمنٌ على جميع الكتب السابقة،** فهي منسوخة به على وجه الإجمال، قال تعالى ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾، والنسخ يتطرق للشرائع المتضمنة للعبادات والمعاملات، أما العقائد فإن النسخ لا يتطرق إليها، بل العقائد ثابتة في الشرائع كلها، وهي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره.

قال ابن تيمية رحمه الله:

فالسلف كلهم متفقون على أن القرآن هو المهيمن المؤتمن الشاهد على ما بين يديه من الكتب، ومعلوم أن المهيمن على الشيء أعلى منه مرتبة، ومن أسماء الله (المهيمن)، ويسمى الحاكم على الناس، القائم بأمرهم ؛ (المهيمن)، قال المبرد والجوهري وغيرهما: المهيمن في اللغة ؛ المؤتمن.

وقال الخليل: الرقيب الحافظ.

وقال الخطابي: المهيمن ؛ الشهيد.

قال: وقال بعض أهل اللغة: الهيمنة ؛ القيام على الشيء والرعاية له ...

وهكذا القرآن ؛ فإنه قرر ما في الكتب المتقدمة من الخير عن الله وعن اليوم الآخر، وزاد ذلك بيانا وتفصيلا، وبَيَّنَّ الأدلة والبراهين على ذلك، وَقَرَّرَ نبوة الأنبياء كلهم، ورسالة المرسلين، وَقَرَّرَ الشرائع الكلية التي بُعثت بها الرسل كلهم، وجادل المكذبين بالكتب والرسل بأنواع الحجج والبراهين، وبَيَّنَّ عقوبات الله لهم ونصره لأهل الكتب المتبعين لها، وبَيَّنَّ ما حُرِّفَ منها وبُدِّلَ، وما فعله أهل الكتاب في الكتب المتقدمة، وبَيَّنَّ أيضا ما كتموه مما أمر الله ببيانه، وكلَّ ما جاءت به النبوات بأحسن الشرائع والمناهج التي نزل بها القرآن، فصارت له الهيمنة على ما بين يديه من الكتب من وجوه متعددة، فهو شاهد بصدقها وشاهد

<sup>1</sup> رواه البخاري (٣٤٤٣) ومسلم (٢٣٦٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

بكذب ما حُرِّفَ منها، وهو حاكم بإقرار ما أقره الله، ونَسَخَ ما نسخه الله، فهو شاهد في الخبريات، حاكم في الأموريات.

وكذلك معنى الشهادة والحكم؛ يتضمن إثبات ما أثبتته الله من صِدْقٍ ومُحْكَمٍ، وإبطال ما أبطله من كَذِبٍ ومنسوخ، وليس الإنجيل مع التوراة ولا الزبور بهذه المثابة، بل هي متبعة لشريعة التوراة إلا يسيراً نسخه الله بالإنجيل، بخلاف القرآن.

ثم إنه مُعَجَّزٌ في نفسه، لا يَقْدِرُ الخلائق أن يأتوا بمثله، ففيه دعوة الرسول، وهو آية الرسول وبرهانه على صدقه ونبوته، وفيه ما جاء به الرسول، وهو نفسه برهان على ما جاء به.

وفيه أيضاً من ضربِ الأمثالِ وبيانِ الآياتِ على تفضيل ما جاء به الرسول ما لو جُمع إليه علوم جميع العلماء لم يكن ما عندهم إلا بعض ما في القرآن، ومن تأمل ما تكلم به الأولون والآخرون في أصول الدين والعلوم الإلهية وأمور المعاد والنبوات والأخلاق والسياسات والعبادات وسائر ما فيه كمال النفوس وصلاحها وسعادتها ونجاتها؛ لم يجد عند الأولين والآخريين من أهل النبوات ومن أهل الرأي - كالمثقفين وغيرهم - إلا بعض ما جاء به القرآن، ولهذا لم تَحْتَجِ الأمة مع رسولها وكتابتها إلى نبي آخر وكتاب آخر فضلاً عن أن تحتاج إلى شيء لا يستقل بنفسه غيره<sup>١</sup>، سواء كان من علم المحدثين والملمهين، أو من علم أرباب النظر والقياس، الذين لا يعتصمون مع ذلك بكتاب منزل من السماء. انتهى باختصار.<sup>٢</sup>

وقال ابن تيمية أيضاً: وأما القرآن فإنه مُسْتَقَلٌّ بنفسه، لم يُحَوِّجْ أصحابه إلى كتابٍ آخر، بل اشتمل على جميع ما في الكتب من المحاسن، وعلى زيادات كثيرة لا توجد في الكتب، فلهذا كان مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيماً عليه، يقرر ما فيها من الحق ويُبطل ما حُرِّفَ منها، وينسخ ما نسخه الله، فيقرر الدين الحق، وهو جمهور ما فيها<sup>٣</sup>، ويُبطل الدين المبدل الذي لم يكن فيها، والقليل الذي نُسخ فيها، فإن المنسوخ قليل جداً بالنسبة إلى المحكم المقرر. انتهى.<sup>٤</sup>

قلت: ولما كان القرآن لا يصير منسوخاً كله، ولا يتطرق إليه التبديل والتحريف؛ صار مهيماً على الكتب السابقة.

<sup>١</sup> أي غير القرآن.

<sup>٢</sup> «مجموع الفتاوى» (٤٣/١٧ - ٤٥).

<sup>٣</sup> أي: غالب ما فيها.

<sup>٤</sup> أي ويُبطل القليل.

<sup>٥</sup> «مجموع الفتاوى» (١٨٤/١٩ - ١٨٥).



وقال ابن كثير رحمه الله في معنى وصف القرآن بالمهيمن: فهو أمين وشاهد وحاكم على كل كتاب قبله، جعل الله هذا الكتاب العظيم الذي أنزله آخر الكتب وخاتمها، وأشملها وأعظمها وأحكمها، حيث جمع فيه محاسن ما قبله، وزاده من الكمالات ما ليس في غيره، فلهذا جعله شاهداً وأميناً وحاكماً عليها كلها، وتكفَّلَ تعالى بحفظه بنفسه الكريمة، فقال تعالى ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾<sup>١</sup>.

### فصل في بيان أعظم الكتب

وأعظم الكتب هي القرآن والتوراة، وكثيراً ما يجيء ذكرها في القرآن، وكثيراً ما يقرب الله في القرآن بين نبوة محمد ﷺ ونبوة موسى ﷺ، وبين كتابيهما وشريعتهما، لأن كتابيهما أفضل الكتب، وشريعتهما أكمل الشرائع، ونبوتيهما أعلى النبوات، وأتباعهما أكثر المؤمنين.<sup>٢</sup>

وأعظم الكتابين هو القرآن بلا شك، ولهذا جعله الله مهيمناً على كل الكتب السماوية قبله كما تقدم، وفيه من الإعجاز ما ليس في غيره من الكتب، وسيأتي ذكر وجوه إعجاز القرآن الكريم في خاتمة مبحث الإيمان بالرسول لكونه من معجزات النبي محمد ﷺ.

### فائدة في ميزة التوراة على الإنجيل

قال ابن كثير رحمه الله في خاتمة تفسير سورة الأحقاف ما محصَّله أن الإنجيل فيه مواعظ وترقيقات وقليل من التحليل والتحريم، وهو في الحقيقة كالمتمم لشريعة التوراة، فالعمدة هي التوراة، فلهذا قالت الجن عن القرآن إنه أنزل من بعد موسى ولم تقل إنه أنزل من بعد عيسى، لأن التوراة التي أنزلت على موسى هي الأصل. انتهى الغرض منه.

ولهذا فإن الله علّم نبيه عيسى ابن مريم التوراة والإنجيل كليهما، قال الله تعالى عن الملائكة أنها قالت لأمه مريم ﴿ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل﴾، أي: أن الله يعلمه الكتابة، والسداد في القول والفعل، والتوراة التي أوحاها الله إلى موسى عليه السلام، والإنجيل الذي أنزل الله عليه. فالحاصل أن الإنجيل متمم للتوراة ومكمل لها، وليس ناسخاً لها.

### فصل في بيان مواطن اتفاق الكتب السماوية ومواطن اختلافها

الكتب السماوية قاطبة متفقة على أمور ومختلفة في أمور، فأما مواطن الاتفاق فستة:

<sup>١</sup> انظر «تفسير القرآن العظيم»، سورة المائدة، الآية ٤٨.

<sup>٢</sup> قاله الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رحمه الله في تفسيره في مقدمة تفسير سورة الإسراء.

**الأول:** أن جميع الكتب دعت الى شيء واحد وهو عبادة الله وحده وترك عبادة من سواه، سواء كانت تلك المعبودات أصناما أو أشخاصا أو أنبياءً أو أحجارا أو غيرها.

فدين الأنبياء واحد بهذا الاعتبار، وهو عبادة الله وحده.

**الثاني:** تتفق الكتب السماوية على وجوب الإيمان بأصول العقيدة، وهي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره.

**الثالث:** تتفق الكتب السماوية على وجوب التَّعْبُدِ لله تعالى بعبادات معينة، كالصلاة والزكاة والصوم والحج، ولكن تلك العبادات تختلف عن بعضها في كيفية أدائها بحسب الناس الذين بُعث إليهم ذلك النبي، فالتوراة مثلا أمرت بالصلاة، وكذلك الإنجيل والقرآن، لكن كيفية الصلاة وتوقيتها يختلف بين هذه الشرائع الثلاث، ولكنها في النهاية تشترك في كونها عبادة لله وحده، ينبغي أن تؤدي على نحو ما، بينته تلك الشريعة لأتباعها.

وكذلك الأمر يقال بالنسبة لعبادة الصوم وغيرها من العبادات.

قال تعالى مبينا اشتراك بعض الأمم في الصلاة والزكاة ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فَعَلِ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾<sup>١</sup>، وقال تعالى في الصوم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾<sup>٢</sup>، وقال لإبراهيم كما في سورة الحج ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾<sup>٣</sup>.

**الرابع:** اتفاتها على الأمر بالعدل والقسط، قال تعالى ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾<sup>٤</sup>.

والأمر بالعدل المذكور في شريعة موسى وإبراهيم، ومن أمثلة ذلك ألا يؤخذ أحد بذنوب غيره، قال تعالى ﴿أَمْ لَمْ يَنْبَأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى \* أَلَا تَنْزُرُ وَازِرَةً وَزَرَ أُخْرَى﴾<sup>٥</sup>.

**الخامس:** اتفاتها على الأمر بحفظ الضروريات الخمس، وهي الدين والعقل والمال والعرض والنفس.

<sup>١</sup> سورة الأنبياء: ٧٣ .

<sup>٢</sup> سورة البقرة: ١٨٣ .

<sup>٣</sup> سورة الحج: ٢٧ .

<sup>٤</sup> سورة الحديد: ٢٥ .

<sup>٥</sup> سورة النجم: ٣٦ - ٣٨ .

السادس: اتفاتها على الأمر بمحاسن الأخلاق والنهي عن قبيحها، فتأمر مثلاً ببر الوالدين وصلة الأرحام وإكرام الضيف والعطف على الفقراء والمساكين والقول الحسن ونحو ذلك، كما أنها تنهى عن القبائح، كالظلم والعدوان وعقوق الوالدين وانتهاك الأعراض والغيبة والكذب والسرقه وغير ذلك.

وأما مواطن الاختلاف بين الشرائع السماوية ففي أمرين، وهذا الاختلاف من حكمة الله تعالى ليكون لكل أمة من الشرائع ما يناسب طبيعتها، قال تعالى ﴿لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا﴾<sup>١</sup>، وموطننا الاختلاف هما:

الأول: كيفية العبادات المشتركة بين الشرائع، فالصلاة كانت مفروضة في شريعة عيسى، ولكنها تختلف في كيفيتها عن الصلاة المفروضة في شريعة محمد  $\rho$ ، وربما تتفق معها في بعض صورها، كما قال النبي  $\rho$ : إنا معاشر الأنبياء أمزنا أن نُعجّل إفطارنا، ونؤخّر سحورنا، ونضع أيماننا على شمالكنا في الصلاة.<sup>٢</sup>

وكذلك الصوم المفروض في شريعة من قبلنا؛ تختلف كيفيته عن الصوم في شريعة محمد  $\rho$ ، فقد كان الإمساك في شريعة من قبلنا يبدأ إذا استيقظ الإنسان من نومه إذا نام في أي وقت من الليل، أوله أو وسطه أو آخره، ويمتد ذلك الإمساك إلى مغرب الليلة القابلة، ثم جعل الله ابتداء الإمساك في شريعة محمد  $\rho$  عند طلوع الفجر، بدون اعتبار للنوم قبله، وهذا من حكمة الله تعالى وتيسيره على هذه الأمة.

الثاني: الاختلاف في تشريع بعض الأحكام، فقد يُحلّ الله طعاماً لأمة، ويُحرّمه على آخرين لحكمة يعلمها الله عز وجل، قد نعلمها وقد لا نعلمها، كما حرم الله على اليهود أنواعاً من الأطعمة، قال تعالى ﴿وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما إلا ما حملت ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم ذلك جزيناهم ببيغهم وإنا لصادقون﴾<sup>٣</sup>.

ثم في شريعة عيسى  $\rho$  أُحلّت تلك الأطعمة، فقد قال عيسى لقومه ﴿ومصدقا لما بين يدي من التوراة ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم﴾<sup>٤</sup>.

ثم جاءت شريعة محمد  $\rho$ ، فأحلّت الطيبات كافة وحَرَمَتِ الخبائث كافة.

## الحكمة من إنزال القرآن<sup>٥</sup>

<sup>١</sup> سورة المائدة: ٤٨ .

<sup>٢</sup> رواه البيهقي (٢٣٨/٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وأشار إلى ثبوته الألباني في «الصحيحه» (٣٧٥/٤).

<sup>٣</sup> سورة النساء: ١٤٦ .

<sup>٤</sup> سورة آل عمران: ٥٠ .

<sup>٥</sup> استفدت هذا الفصل من «أضواء البيان»، تفسير سورة ص، قوله تعالى ﴿كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب﴾.

بَيَّنَّ اللهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ الْحِكْمَةَ الْكُبْرَى مِنْ إِنْزَالِ الْقُرْآنِ فِي قَوْلِهِ جَلَّ وَعَلَا ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾<sup>١</sup>، وَقَدْ بَيَّنَّ اللهُ تَعَالَى فِي آيَاتِ أُخْرَى الْحِكْمَةَ مِنْ ذَلِكَ الْإِخْرَاجِ وَهِيَ:

**الأولى والثانية والثالثة:** تَدْبُرُ آيَاتِهِ وَتَذَكَّرُ أَوْلَا الْأَبَابِ وَمِنْ ثَمَّ حُصُولُ التَّقْوَى، وَدَلِيلُ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أَوْلَا الْأَبَابِ﴾<sup>٢</sup>، وَقَالَ تَعَالَى ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحَدِّثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾<sup>٣</sup>.

**الرابعة:** الْبَشَارَةُ بِالثَّوَابِ لِلْمُتَّقِينَ وَالْإِنذَارُ بِالْعِقَابِ لِلْمُعْرِضِينَ، قَالَ تَعَالَى ﴿فَإِنَّمَا يَسِرْنَا بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا﴾<sup>٤</sup>.

**الخامسة:** تَبْيِينُ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ لِلنَّاسِ، قَالَ تَعَالَى ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾<sup>٥</sup>، وَقَالَ تَعَالَى ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾<sup>٦</sup>.

**السادسة:** تَثْبِيثُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْإِيمَانِ وَالْهُدَى، قَالَ تَعَالَى ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾<sup>٧</sup>.

**السابعة:** الْحُكْمُ بَيْنَ النَّاسِ بِهِ - أَيْ بِالْقُرْآنِ -، قَالَ تَعَالَى ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللهُ﴾<sup>٨</sup>، أَيْ: بِمَا عَلَّمَكَ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنَ الْعُلُومِ.

### تَمَيُّزُ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ عَنِ الْغَيْرِ مِنَ الْكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ

تَمَيُّزُ الْقُرْآنِ بِخِصَائِصٍ عَدَّةٍ عَنِ الْغَيْرِ مِنَ الْكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ، نَذَرَ مِنْهَا ثَلَاثَ خِصَائِصٍ:

١. أَنْ فِيهِ تَبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ، كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿وَنَزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾<sup>٩</sup>، وَكَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾<sup>١</sup>، وَقَدْ بَيَّنَّ جَلَالَ الدِّينِ السِّيُوطِيُّ<sup>٢</sup> رَحِمَهُ اللهُ ذَلِكَ التَّبْيَانَ فِي مَقْدَمَةِ كِتَابِهِ «الْإِكْلِيلُ فِي اسْتِنْبَاطِ التَّنْزِيلِ»<sup>٣</sup>، فَقَالَ مَا مَلَخَصَهُ:

<sup>١</sup> سورة إبراهيم: ١ .

<sup>٢</sup> سورة ص: ٢٩ .

<sup>٣</sup> سورة طه: ١٣٣ .

<sup>٤</sup> سورة مريم: ٩٧ .

<sup>٥</sup> سورة النحل: ٤٤ .

<sup>٦</sup> سورة النحل: ٤٦ .

<sup>٧</sup> سورة النحل: ١٠٢ .

<sup>٨</sup> سورة النساء: ١٠٥ .

<sup>٩</sup> سورة النحل: ٨٩ .

قد اشتمل كتاب الله على كل شيء. أما أنواع العلوم فليس منها باب ولا مسألة هي أصل إلا وفي القرآن ما يدل عليها.

وفيه علم عجائب المخلوقات، وملكوت السماوات والأرض، وما في الأفق الأعلى، وما تحت الثرى، وبدء الخلق، وأسماء مشاهير الرسل والملائكة، وعيون أخبار الأمم السالفة؛ كقصة آدم مع إبليس في إخراجه من الجنة، وإغراق قوم نوح، وقصة عاد وثمود، وقوم لوط، وقوم شعيب، وقوم يونس، وإلياس، وأصحاب الرّس، وقصة موسى في ولادته وفي إلقائه في اليم، وقتله القبطي، ومسيره إلى مدين، وتزوجه ابنة شعيب، وكلام الله تعالى له بجانب الطور، وبعثه إلى فرعون، وخروجه من البحر وإغراق عدوه فرعون، وقصة العجل، وقصة القوم الذين خرج بهم وأخذتهم الصعقة، وقصة القتال وذبح البقرة، وقصته في قتال الجبارين، وقصته مع الخضر، وقصة طالوت وداود مع جالوت وقتله، وقصة سليمان وخبره مع ملكة سبأ وقتنته، وقصة القوم الذين خرجوا فرارا من الطاعون فأماهم الله ثم أحياهم، وقصة إبراهيم في مجادلته قومه، ومناظرته النمرود، ووضعه إسماعيل مع أمه بمكة، وبنائه البيت، وقصة الذّيح إسماعيل، وقصة يوسف، وقصة مريم وولادتها عيسى وإرساله ورفع، وقصة زكريا وابنه يحيى، وأيوب وذي الكفّل، وقصة ذي القرنين ومسيره إلى مطلع الشمس ومغربها وبنائه السّد، وقصة أصحاب الكهف والرقيم، وقصة بُختنصر، وقصة الرجلين اللذين لأحدهما الجنة، وقصة أصحاب الجنة الذين أقسموا ليقطعنّ ثمار حديقتهم مبكّرين في الصباح، فلا يطعم منها غيرهم من المساكين ونحوهم، وقصة مؤمن آل فرعون، وقصة أصحاب الفيل.

وفيه من شأن النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - دعوة إبراهيم به<sup>٤</sup>، وبشارة عيسى بنبوته<sup>٥</sup>، وبعثه وهجرته<sup>٦</sup>.

ومن غزواته: غزوة بدر في «سورة الأنفال»، وأُخذ في «سورة آل عمران»، وغزوة الخندق في «سورة الأحزاب»، والنضير في «سورة الحشر»، والحديبية في «سورة الفتح»، وتبوك في «سورة براءة»، وحجة

<sup>١</sup> سورة الأنعام: ٣٨ .

<sup>٢</sup> هو عبد الرحمن بن أبي بكر الخضير السيوطي، إمام حافظ مؤرخ أديب، برز في جميع الفنون، له نحو ٦٠٠ مصنف، منها في علوم القرآن «الإتقان في علوم القرآن»، وله في التفسير «الدر المنثور في التفسير بالمأثور»، وله في علوم الحديث «ألفية السيوطي في الحديث»، وله في الحديث «الجامع الكبير» و «الجامع الصغير». توفي عام ٩١١ . انظر ترجمته في «البدر الطالع» للشوكاني، و«الأعلام» للزركلي.

<sup>٣</sup> هو من منشورات دار الأندلس الخضراء بجدة، بتحقيق: د. عامر بن علي العرابي.

<sup>٤</sup> أي دعاء النبي إبراهيم - عليه السلام - أن يبعث في الأمة نبيا، فكان هو محمد صلى الله عليه وسلم.

<sup>٥</sup> يوجد في التوراة والأنجيل المنتشرة بين اليهود والنصارى بشارات كثيرة بنبوته محمد صلى الله عليه وسلم.

<sup>٦</sup> أي هجرته من مكة إلى المدينة فرارا بدينه لما ضيق عليه قومه وحالوا دونه ودون نشر الإسلام في مكة.

الوداع في «سورة المائدة»، ونكاحه زينب بنت جحش ، وتظاهر أزواجه عليه، وقصة الإفك، وقصة الإسراء، وانشقاق القمر، وسحر اليهود إياه.

وفيه بدء خلق الإنسان إلى موته، وكيفية الموت وقبض الروح وما يُفعل بها بعد صعودها إلى السماء، وفتح الباب للروح مؤمنة وإلقاء الروح الكافرة، وعذاب القبر والسؤال فيه، ومقر الأرواح، وأشراط الساعة الكبرى العشرة، وهي:

نزول عيسى، وخروج الدجال، ويأجوج ومأجوج، والدابة، والدخان، ورفع القرآن، وطلوع الشمس من مغربها، وإغلاق باب التوبة، والخسف.

وأحوال البعث من نفخة الصور، والفرع، والصَّعق، والقيام، والحشر والنشر، وأحوال الموقف، وشدة حر الشمس، وظل العرش، والصراط، والميزان، والحوض، والحساب لقوم، ونجاة آخرين منه، وشهادة الأعضاء، وإتياء الكتب بالإيمان والشمائل وخلف الظهور، والشفاعة، والجنة وأبوابها، وما فيها من الأشجار والثمار والأثمار والحلبي والألوان والدرجات ورؤيته تعالى.

والنار وما فيها من الأودية، وأنواع العقاب، وألوان العذاب، والزقوم والحميم، إلى غير ذلك مما لو بُسِّط جاء في مجلدات.

وفي القرآن جميع أسمائه تعالى الحسنى، وفيه من أسماء النبي - صلى الله عليه وسلم - جملة<sup>١</sup>.

وفيه شعب الإيمان البضع والسبعون.

وفيه شرائع الإسلام الثلاثمائة وخمس عشرة.

وفيه ذكر أنواع الذنوب الكبائر وكثير من الذنوب الصغائر.

وفيه تصديق كل حديث ورد عن النبي - صلى الله عليه وسلم.

هذه جملة القول في ذلك.

انتهى باختصار يسير وتصرف من كلام السيوطي رحمه الله في مقدمة كتابه «الإكليل في استنباط التنزيل».

\*\*\*

٢. ومن خصائص القرآن أنه كتاب هداية للناس كافة، بخلاف الكتب الأخرى، فإنها كانت تصلح لناس دون آخرين، حكمة منه جل وعلا، كما جاء في القرآن ذكر المصالح التي يحتاجها البشر وتدور عليها

<sup>١</sup> أي مجموعة من الأسماء، كأحمد والسراج المنير ونحو ذلك.

الشرائع، وفيه حلول المشاكل العالمية، انظر ما قاله الشنقيطي رحمه الله في هذا الباب في تفسير قوله تعالى ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمٌ﴾<sup>١</sup>، فقد تكلم عليه في نحو من خمس وخمسين صفحة.

\*\*\*

٣. ومن أعظم خصائص القرآن العظيم أنه محفوظ من التغيير والتبديل والتحريف على مر الدهور والعصور إلى نهاية العالم، فقد تعهد الله بحفظه كما قال تعالى ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾<sup>٢</sup>، أي: إن الله نزل الذكر وهو القرآن، ثم حفظه، وطريقة حفظه على مدى العصور الماضية كانت كالتالي:

بعد إنزال القرآن على النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) عن طريق الملك جبريل؛ حفظه النبي في قلبه، ثم قرأه على أصحابه فحفظوه في صدورهم وكتبوه على الألواح، وكان عدد أصحاب النبي (صلى الله عليه وسلم) ألوفا، ثم تتابع الناس في الآفاق على حفظ القرآن بعد الصحابة ولم يفرطوا فيه، جيلا بعد جيل، وقرنا بعد قرن، وكان حفظهم متطابقا، ولا يزال متطابقا، لا يختلف حرفا واحدا، فهذا حفظ الله ألفاظ القرآن من التغيير والزيادة والنقص، وحفظ معانيه من التبديل، فلا يوجد في القرآن مؤلف مجهول، لأن الكلام كلام الله، لم يتدخل فيه أحد بتأليف أو تحريف، كما لا يوجد في القرآن جزء مفقود أو تناقض بين الآيات أو سقط في بعض الآيات، ولم يتجرأ أحد على مر التاريخ على تحريف معنى من معانيه إلا وقَّض الله له من يرد عليه، ويكشف كذبه وزوره وبهتانته، ويُبَيِّن الحق المبين، وهذا من أعظم آيات الله على أنه كتاب منزل، ومن أعظم نعمه على عباده المؤمنين إلى نهاية الدنيا.

قال السيد أبو الحسن علي الحسيني الندوي رحمه الله في كتابه «النبي الخاتم»:

«أما القرآن الكريم الذي كان آخر الكتب المنزلة من الله ومُصدِّقا لها ومهمينا عليها، وعليه الاعتماد في هداية البشر، وربط الخلق بالخالق، والدعوة إلى الله بعد البعثة المحمدية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها؛ فشأنه يختلف عن شأن جميع الكتب السماوية كل الاختلاف، فقد تكفل الله بحفظه وسلامته من كل تحريف وتبديل، وزيادة ونقص، فقال ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ \* لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾<sup>٣</sup>.

<sup>١</sup> سورة الإسراء: ٩ .

<sup>٢</sup> سورة الحجر: ٩ .

<sup>٣</sup> سورة فصلت: ٤١ - ٤٢ .

وكذلك تكفل الله بسلامته من مسخ وعبث ومحوٍ من الذاكرة، وارتفاعٍ عن صدور الناس، أو تعرضٍ لنكبةٍ تقضي عليه أو تُبيده، كما وقع أكثر من مرةٍ للتوراة، فقال ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾<sup>١</sup>، وهي الكفالة بحفظه وبقائه وانتشاره وازدهاره وبقائه متلوّاً ومدروساً ومفهوماً، وغير مهجورٍ قد انقطع العمل به بتاتاً وتُنوسي، فكل هذا – من معانٍ ولوازم وآفاق – مما تنطوي عليه كلمة "الحفظ" العربية البليغة».

انتهى كلامه رحمه الله.<sup>٢</sup>

**فإن قيل: وما هي الدلائل على أن القرآن محفوظ لم يتعرض للتحريف؟**

فالجواب على ذلك من وجوه:

- أن البشر كلهم ما استطاعوا أن يأتوا بآية مثل آية واحدة في القرآن في بلاغته وحسن كلامه، ولو أنه تعرض للتحريف لانتضح هذا في سياق القرآن، لأن أسلوب كلام البشر مختلف عن أسلوب كلام الرب.
- ثم إن القرآن متميزٌ في نظمه وأسلوبه عن كلام البشر، وقد حاول أناس على مر التاريخ إدخال تحريفات في القرآن فانكشفوا وذهبت جهودهم.
- ثم إن القرآن محفوظ في الصدور علاوة على كونه محفوظاً في القرائين، فإن ملايين البشر يحفظونه في آن واحد على مر الأزمان، ومن المعلوم أن ما كان في الصدور فلا يمكن تحريفه.
- كذلك فإن التاريخ يشهد بأن القرآن لم يتعرض قط للتحريف، ولو أنه تعرض للتحريف لذكره المؤرخون وأتوا بإثباتات، لاسيما مع وجود أعداء للقرآن على مر التاريخ. فلم يُذكر قط في التاريخ أن المسلمين اختلفوا في سورة أو آية أو كلمة واحدة أو حتى حرف واحد من القرآن، هل هو من القرآن أم مُدخلٌ عليه. بل التاريخ يشهد على ثبوت النص القرآني كما هو على مر العصور والقرون، وفي مختلف بقاع الدنيا، شرقاً وغرباً، وشمالاً وجنوباً.

<sup>١</sup> سورة الحجر: ٩ .

<sup>٢</sup> ص ٣٤، الناشر دار الكلمة – مصر.



- ومما يدل على حفظ القرآن أن القارئ الكريم لو أتى بنسخة من القرآن وقارنها بنسخة أخرى في أمريكا، وبنسخة ثالثة في الصين، ونسخة رابعة في الهند، لوجد بأن عينيه أن هذه النسخ متطابقة، ليس فيها اختلاف بحرف واحد، فهذا دليل مادي حسي على حفظ القرآن.
- ثم إن النسخة الأصلية من القرآن محفوظة منذ أربعة عشر قرناً، وهي موجودة في متحف في اسطنبول بتركيا، وجميع النسخ المطبوعة في العالم هي مقابلة بتلك النسخة.
- فالحاصل أن القرآن هو كما أنزل قبل أربعة عشر عاماً، لا يتعرض لتحديث revision، كما هو الحال في الكتب الأخرى التي يُحدّثها البشر، ثم يقولون إنها من عند الرب، وإنها كلامه!
- وبهذا تتضح قدرة الرب سبحانه وتعالى في حفظ القرآن، مقارنة بقدرة البشر على حفظ غيره من الكتب كالتوراة والإنجيل، فالنص القرآني محفوظ كما هو منذ أنزل، والتاريخ شاهد بذلك، لأن الله تكفل بحفظه، بينما النصوص الأصلية لجميع الكتب السابقة كالتوراة والإنجيل غير محفوظة، والتاريخ شاهد بذلك، مع أنهما أقرب كتابين للقرآن من الناحية الزمانية، والسبب في ذلك أن الأخبار والرهبان لم يحفظوها، فالإنجيل الأصلي «الكتاب المقدس» الذي كان بيد المسيح عيسى ابن مريم والحواريين تعرض للضياع، فليس له وجود الآن، وحلّ مكانه أربعة أناجيل كتبها أربعة أشخاص (متى، مرقس، لوقا، يوحنا)، وملحقٌ بها ثلاث وعشرون رسالة، كلها قد أُلّفت بعد رفع المسيح، فيكون المجموع سبعة وعشرين سفراً، وقد بدأ تدوين تلك الأناجيل الأربعة من سنة ٣٧ م إلى سنة ١١٠ م، وهؤلاء الأربعة لم يثبت أن التقوا بالمسيح ولو للحظة واحدة، بل كتبوها بعد رفعه إلى السماء، وبينها من التناقض والاختلاف الشيء الكثير.
- وإذا أُضيفت أسفار العهد القديم الستة وأربعين (المكونة من التوراة وغيرها) إلى أسفار العهد الجديد (الإنجيل) السبعة وعشرين صار مجموع الأسفار ثلاثة وسبعين، يؤمن البروتستانت بستة وستين منها، ولا يؤمنون بالبقية، بينما يؤمن الأرثوذكس والكاثوليك بها كلها.
- ومما يدل بوضوح على تحريف رجال الدين المسيحيين للإنجيل أن هذه الأناجيل الأربعة يتم تحديثها بشكل مستمر من قِبَل متخصصين في الأناجيل، حيث يكتشف هؤلاء المتخصصون من وقت لآخر أن هناك عبارات مقحمة في النص الأصلي منها، فيُخرجون نسخة جديدة من الأناجيل

revision، ويقولون إنها منقحة من تلك العبارات المُقحمة في النص، أليس هذا دليلاً واضحاً على تلاعبهم بها؟

● فبهذا يتبين لنا بوضوح أن الرجوع إلى هذه الكتب التي تسمى أناجيل والاعتماد عليها لمعرفة رسالة المسيح عيسى ابن مريم الأصلية خطأ فادح، لأنه رجوع إلى كلام البشر الذي يعتريه الصواب والخطأ، فهي مثل كتب التاريخ ونحوها، وكتب القصص والحكايات، التي تُولف بعد مرور فترة من الزمن على الأحداث التي تكلموا عنها، فيكون فيها الصح والخطأ، والاختلاف والاضطراب، وليس رجوعاً إلى كتاب الله المقدس ((الإنجيل الأصلي)) الذي أنزله الله على المسيح عيسى ابن مريم، ولو أن هذه الأناجيل التي يتداولها النصارى ((المسيحيون)) هي فعلاً الإنجيل الأصلي لَمَا تعددت ولَمَا تناقضت فيما بينها، لأنه من المعلوم قطعاً أن الإنجيل الذي كان بيد المسيح إنما هو كتاب واحد، وكذلك الأمر يقال بالنسبة للتوراة، وهذا مصداق قول الله تعالى ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَوُجِدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾<sup>١</sup>.

● فبناءً على هذا فلا يستطيع باحث أو عالم منصف أن يقول إن الأناجيل الأربعة محفوظة كما هي كما كتبها مؤلفوها، فضلاً عن أن يقولوا إنها - أو واحد منها - تُمثّل النص الأصلي للإنجيل الذي أنزله الله على المسيح، وكان بيد المسيح والحواريين.

● ولكن الله رحيم بعباده، لم يترك الناس هكذا بلا كتاب هداية وإرشاد، فقد أنعم على الناس كلهم بكتاب خالد وهو القرآن، فيه هدى ونور، وحَفِظَهُ على هيئته كما هو غضا طرياً، وسيبقى محفوظاً إلى نهاية الدنيا، كما قال تعالى ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾، وجعله صالحاً لكل زمان ومكان، ولجميع أصناف البشر، فبهذا تم وعد الله بحفظ القرآن ليكون كتاب هداية للناس كلهم، بني إسرائيل وغير بني إسرائيل، الأبيض والأسود، العرب والعجم، الإنس والجن، إلى نهاية هذا العالم، وتضمن هذا القرآن شريعة الإسلام التي هي خاتمة الشرائع.

<sup>١</sup> سورة النساء: ٨٢ .

<sup>٢</sup> بإمكان القارئ الكريم تصفح القرآن من خلال هذا الموقع [www.quran.ksu.edu.sa](http://www.quran.ksu.edu.sa)

• وفيما يلي قصة لطيفة من التاريخ تثبت حفظ القرآن على مر العصور والدهور، وقد حصلت لأحد خلفاء المسلمين كان يسمى المأمون، دخل عليه في مجلسه رجل يهودي حسن الثوب حسن الوجه طيب الرائحة، فتكلم فأحسن الكلام والعبارة، فلما انتهى المجلس دعاه المأمون فقال له: إسرائيلي؟ فقال: نعم.

فقال له: أسلم حتى أفعل بك وأصنع، أي يعطيه مالا ونحو ذلك.

فقال: ديني ودين آبائي! وانصرف.

يعني لن أترك ديني ودين آبائي.

فلما كان بعد سنة جاء اليهودي مسلماً إلى مجلس المأمون، فتكلم في أمور الدين الإسلامي فأحسن الكلام، فلما انتهى المجلس دعاه المأمون فقال له: أأنت صاحبنا بالأمس؟ فقال: بلى.

قال: فما كان سبب إسلامك؟

قال: انصرفت من حضرتك فأحببت أن أمتحن هذه الأديان، فعمدت إلى التوراة فكتبت ثلاث نسخ فزدت فيها ونقصت، وأدخلتها الكنيسة فاشترت مني.

وعمدت إلى الإنجيل فكتبت ثلاث نسخ فزدت فيها ونقصت، وأدخلتها البيعة فاشترت مني. وعمدت إلى القرآن فعملت ثلاث نسخ وزدت فيها ونقصت، وأدخلتها على الوراقين (هم الذين يكتبون الكتب ويبيعونها، قبل وجود المطابع) فتصفحوها، فلما وجدوا فيها الزيادة والنقصان رموا بها فلم يشتروها، فعلمت أن هذا كتاب محفوظ، فكان هذا سبب إسلامي. انتهت القصة.

### فصل في بيان الأدلة القرآنية على تحريف الأحرار والرهبان للتوراة والإنجيل

قال الشنقيطي رحمه الله في تفسير قوله تعالى في سورة المائدة عند ذكر حال الأحرار والرهبان مع الكتب المنزلة إليهم وتفريطهم في حفظها ﴿بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء﴾<sup>١</sup>، قال رحمه الله: أخبر تعالى في هذه الآية الكريمة أن الأحرار والرهبان استُحفظوا كتاب الله يعني استودعوه، وطلب منهم حفظه، ولم يبين هنا هل امتثلوا الأمر في ذلك وحفظوه، أو لم يمتثلوا الأمر في ذلك وضيعوه، ولكنه بيّن في مواضع آخر أنهم لم يمتثلوا الأمر، ولم يحفظوا ما استُحفظوه، بل حَرَفُوهُ وبدلوه عمداً، كقوله ﴿يحرفون الكلم عن مواضعه﴾ الآية، وقوله ﴿يحرفون الكلم من بعد مواضعه﴾ الآية، وقوله ﴿تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيراً﴾، وقوله ﴿فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله﴾ الآية، وقوله

<sup>١</sup> سورة المائدة: ٤٤ .

جل وعلا ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ فَرِيقًا يَلُودُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ الآية، إلى غير ذلك من الآيات ...

ثم قال رحمه الله: والقرآن العظيم لم يكِلِ الله حفظه إلى أحد حتى يُمكنه تضييعه، بل تولى حفظه جل وعلا بنفسه الكريمة المقدسة، كما أوضحه بقوله ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ وقوله ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ الآية، إلى غير ذلك من الآيات. انتهى كلامه رحمه الله. وقال ابن القيم رحمه الله تعالى في كتابه «إغاثة اللهفان»:

ثم بعث الله سبحانه عبده ورسوله وكلمته المسيح ابنَ مريم، فجَدَّد لهم الدين، وبَيَّن لهم معالمة، ودعاهم إلى عبادة الله وحده، والتبرِّي<sup>١</sup> من تلك الأحداث والآراء الباطلة، فعادوه وكذبوه، ورموه وأمه بالعظائم، وراموا<sup>٢</sup> قتله، فظَهَّرَ الله تعالى منهم، ورفعهم إليه فلم يصلوا إليه بسوء، وأقام الله تعالى للمسيح أنصارا دعوا إلى دينه وشريعته، حتى ظهر دينه على من خالفه، ودخل فيه الملوك، وانتشرت دعوته، واستقام الأمر على السداد بعده نحو ثلثمائة سنة.

ثم أخذ دين المسيح في التبديل والتغيير حتى تناسخ واضمحل ولم يبق بأيدي النصارى منه شيء، بل ركبوا دينا بين دين المسيح ودين الفلاسفة عبَاد الأصنام، وراموا بذلك أن يتلطفوا للأمم حتى يُدخلوهم في النصرانية، فنقلوهم من عبادة الأصنام المحسدة إلى عبادة الصور التي لا ظل لها، ونقلوهم من السجود للشمس إلى السجود إلى جهة المشرق، ونقلوهم من القول باتحاد العاقل والمعقول والعقل إلى القول باتحاد الأب والابن وروح القدس.

هذا ومعهم بقايا من دين المسيح، كالختان والاعتسال من الجنابة وتعظيم السبت وتحريم الخنزير وتحريم ما حرَّمته التوراة إلا ما أُجِّل لهم بنصها، ثم تناسخت الشريعة إلى أن استحَلُّوا الخنزير وأحلُّوا السبت وعَوَّضوا منه يوم الأحد وتركوا الختان والاعتسال من الجنابة، وكان المسيح يُصلي إلى بيت المقدس فصلُّوا هم إلى المشرق، ولم يُعظَّم المسيح عليه السلام صليبا قط، فعظَّموا هم الصليب وعبدوه، ولم يصم المسيح عليه السلام صومهم هذا أبدا ولا شرعه ولا أمر به البتة، بل هم وضعوه على هذا العدد ونقلوه إلى زمن الربيع، فجعلوا ما زادوا فيه من العدد عوضا عن نقله من الشهور الهلالية إلى الشهور الرومية، وتعبدوا بالنجاسات وكان المسيح عليه السلام في غاية الطهارة والطيب والنظافة وأبعد الخلق عن النجاسة، فقصدوا بذلك تغيير

<sup>١</sup> أي التبرؤ.

<sup>٢</sup> أي: قصدوا.

دين اليهود ومراغمتهم، فغيروا دين المسيح وتقربوا إلى الفلاسفة عباد الأصنام بأن وافقوهم في بعض الأمر ليُرضوهم به وليستنصروا بذلك على اليهود. انتهى كلامه رحمه الله.<sup>١</sup>

### تنبيه مهم

• ومع ذلك التحريف والتبديل الذي تعرضت له التوراة والإنجيل ؛ فإنه لا زال في التوراة والأناجيل المتوافرة بأيدي اليهود والنصارى الآن شيئاً من الحق الذي جاء به موسى والمسيح، وشهد له القرآن أيضاً، كنبوة محمد<sup>٢</sup>، وبشرية عيسى<sup>٣</sup>، ووجوب إفراد الله بالعبادة، نذكر هذا من باب الإنصاف، لأن الله أمر المسلمين بالإنصاف كما في قوله تعالى ﴿اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾.

### وجوه إعجاز القرآن

القرآن الكريم مُعجَزٌ في ذاته من عشرة وجوه<sup>٢</sup>:

**الأول: بيانه وفصاحته**، فالقرآن الكريم نزل على العرب بلغتهم، وفي زمان بلغوا فيه الذروة في الفصاحة والبلاغة والبيان وحسن نظم الشعر، فظنوا في أول الأمر أنهم يستطيعون الإتيان بمثله فقالوا ﴿لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلا أساطير الأولين﴾<sup>٤</sup>، فنزل القرآن بتحديد عليهم على ثلاثة مراحل ؛ الأولى أن يأتيوا بمثله<sup>٥</sup>،

<sup>١</sup> «إغاثة اللهفان» (٢٧٠/٢)، تحقيق الفقي.

قلت: وقد ألفت بعض علماء الإسلام كتباً في تحريف الكتب السابقة، كما ألفت بعض الرسائل العلمية في ذلك، منها:

١. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.
٢. مصادر النصرانية - دراسة ونقدا، عبد الرزاق بن عبد المجيد الأرو، الناشر: دار التوحيد للنشر - الرياض
٣. تحريف رسالة المسيح عليه السلام عبر التاريخ - أسبابه ونتائجه، تأليف: بسمة جستنيه
٤. تحجيل من حرف التوراة والإنجيل، تأليف: القاضي أبي البقاء صالح بن الحسين، الناشر: مكتبة العبيكان - الرياض
٥. النصرانية - الأصل والواقع، تأليف: د. محمد السحيم، الناشر: دار العاصمة - الرياض
٦. الأسفار المقدسة قبل الإسلام - دراسة لجوانب الاعتقاد في اليهودية والمسيحية، تأليف: د. صابر طعيمة، الناشر: عالم الكتب -

لبنان

<sup>٢</sup> انظر كتاب «البشارات العجاب في صحف أهل الكتاب» (٩٩ دليلاً على وجود النبي المبشر به في التوراة والإنجيل)، تأليف د. صلاح الراشد، الناشر: دار ابن حزم - بيروت.

<sup>٣</sup> قولي إنما عشرة ليس على سبيل التحديد، ولكن بحسب ما يسر الله الوقوف عليه، وربما كانت هناك وجوه أخرى، فالله تعالى أعلم، وانظر للاطلاع وجوه إعجاز القرآن الكريم العشرة كما ذكرها القرطبي رحمه الله في مقدمة كتابه «الجامع لأحكام القرآن»، باب: ذكر نكت في إعجاز القرآن، وشرائط المعجزة وحقيقتها.

<sup>٤</sup> سورة الأنفال: ٣١ .

<sup>٥</sup> سورة الطور: ٣٣ - ٣٤ .

والثانية أن يأتوا بعشر سور مثله<sup>١</sup>، والثالثة أن يأتوا بسورة مثله<sup>٢</sup>، فعجزوا مع شدة حرصهم على مغالبة القرآن وقوة فصاحتهم، فقطع الله طمعهم إلى قيام الساعة في قوله تعالى ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً﴾<sup>٣</sup>.

قال ابن تيمية رحمه الله:

والقرآن آيته باقية على طول الزمان من حين جاء به الرسول، تُتلى آيات التحدي به ويتلى قوله ﴿فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين﴾ و ﴿فأتوا بعشر سورٍ مثله﴾ و ﴿بسورةٍ مثله وادعوا من استطعتم من دون الله﴾، ويتلى قوله ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً﴾، فنفس إخبار الرسول بهذا في أول الأمر<sup>٤</sup> وقطعه بذلك مع علمه بكثرة الخلق دليل على أنه كان خارقاً يُعجز الثَّقَلين<sup>٥</sup> عن معارضته، وهذا لا يكون لغير الأنبياء.

ثم مع طول الزمان قد سمعه الموافق والمخالف، والعرب والعجم، وليس في الأمم من أظهر كتاباً يقرأه الناس وقال إنه مثله، وهذا يعرفه كل أحد، وما من كلام تكلم به الناس - وإن كان في أعلى طبقات الكلام لفظاً ومعنى - إلا وقد قال الناس نظيره وما يشبهه ويقاربه، سواء كان شعراً أو خطابة أو كلاماً في العلوم والحكم والاستدلال والوعظ والرسائل وغير ذلك، وما وُجد من ذلك شيء إلا وُجد ما يُشبهه ويُقاربه.

والقرآن مما يعلم الناس عربهم وعجمهم أنه لم يوجد له نظير مع حرص العرب وغير العرب على معارضته، فلفظه آية، ونظمه آية، وإخباره بالغيوب آية، وأمره ونهي آية، ووعدّه ووعدّه آية، وجلالته وعظّمته وسلطانه على القلوب آية، وإذا تُرجم بغير العربي كانت معانيه آية، كل ذلك لا يوجد له نظير في العالم.<sup>٦</sup>

قال مقيدده عفا الله عنه:

تحدى الله في سِتِّ آيات من القرآن جميع الإنس والجن أن يأتوا بمثل هذا القرآن أو سورة منه أو آية منه فما استطاعوا، وهي:

<sup>١</sup> سورة هود: ١٣ .

<sup>٢</sup> سورة البقرة: ٢٣ .

<sup>٣</sup> سورة الإسراء: ٨٨ .

<sup>٤</sup> وانظر أيضاً ما قاله الشنقيطي رحمه الله في تفسير قوله تعالى ﴿وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين﴾ (سورة يونس: ٣٧).

<sup>٥</sup> أي في أول أمر نبوته.

<sup>٦</sup> الثَّقَلين هما الإنس والجن.

<sup>٧</sup> كتاب «النبوات»، ص ٥١٥ - ٥١٧ .

١. ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

وتفسير الآية الكريمة كالتالي:

وإن كنتم في شكٍّ من القرآن الذي نزلناه على عبدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وتزعمون أنه ليس من عند الله، فهاتوا سورة تماثل سورة من القرآن، واستعينوا بمن تقدرتون عليه من أعاونكم، إن كنتم صادقين في دعواكم.

٢. ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَلَطَعْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ \* بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله كذلك كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين﴾.

وتفسير الآية الكريمة كالتالي:

أم يقول الكفار الذين لا يؤمنون بأن القرآن من عند الله: إن هذا القرآن افتراه محمد من عند نفسه؟ فقل لهم أيها الرسول: فأتوا أنتم بسورة واحدة من جنس هذا القرآن في نظمه وهداياته، واستعينوا على ذلك بكل من قدرتم عليه من دون الله من إنس وحن، إن كنتم صادقين في دعواكم.

بل سارعوا إلى التكذيب بالقرآن أول ما سمعوه قبل أن يتدبروا آياته، وكفروا بما لم يحيطوا بعلمه من ذكر البعث والجزاء والجنة والنار وغير ذلك من الأمور التي لم يأتهم بعد حقيقة ما وعدوا به في الكتاب. وكما كذب المشركون بوعيد الله كذبت الأمم التي خلت قبلهم، فانظر أيها الرسول كيف كانت عاقبة الظالمين، فقد أهلك الله بعضهم بالحسف، وبعضهم بالغرق، وبعضهم بغير ذلك.

٣. ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَلَطَعْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

وتفسير الآية الكريمة كالتالي:

بل يقول هؤلاء المشركون من أهل "مكة": إن محمداً قد افتري هذا القرآن، فقل لهم: إن كان الأمر كما تزعمون فأتوا بعشر سور مثله مفتريات، وادعوا من استطعتم من جميع خلق الله ليساعدوكم على الإتيان بهذه السور العشر، إن كنتم صادقين في دعواكم.

٤. ﴿قُلْ لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾.

وتفسير الآية الكريمة كالتالي:

قل يا محمد للذين لا يؤمنون بأن القرآن كلام الله: لو اتفقت الإنس والجن على محاولة الإتيان بمثل هذا القرآن المعجز لا يستطيعون الإتيان به، ولو تعاونوا وتظاهروا على ذلك.

٥. ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ \* فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾.

وتفسير الآية الكريمة كالتالي:

أم يقول هؤلاء المشركون إن محمدا اختلق القرآن من تلقاء نفسه؟

بل هم لا يؤمنون، فلو آمنوا لم يقولوا ما قالوه. فليأتوا بكلام مثل القرآن إن كانوا صادقين في زعمهم أن محمداً اختلقه من عنده.

٦. ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَىٰ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

وتفسير الآية الكريمة كالتالي:

وما كان يتهياً لأحد أن يأتي بهذا القرآن من عند غير الله، لأنه لا يقدر على ذلك أحد من الخلق، وفي هذا القرآن بيان وتفصيل لما شرعه الله لأمة محمد صلى الله عليه وسلم، ولا شك في أن هذا القرآن موحى من رب العالمين.

#### فائدة

مما يدل على بطلان مقولة إن محمدا صلى الله عليه وسلم افتري هذا القرآن؛ أن محمدا لم يجالس علماء ولا شعراء في فترة ما قبل القرآن، ولم يكن يحفظ الشعر في فترة ما قبل القرآن ولا بعدها، فمن أين له نظم هذا القرآن الذي أعجز العرب والعجم بنظمه وأسلوبه؟

ومن أين له معرفة الأخبار التاريخية التي تضمنها القرآن وقد عُلم أن بلده مكة لم تكن فيها مدارس تُدرّس فيها تلك الأخبار؟

ومن أين له معرفة الأمور العلمية المذكورة في القرآن التي لم تكتشف إلا في الزمن الحاضر بعد مرور أربعة عشر قرناً على نزول القرآن؟

ومن ذلك مراحل خلق الإنسان في بطن أمه، وتكوين الجبال والبحار وغيرها من الأمور الطبيعية.

**فائدة - التوراة والإنجيل لا يُجزم بأنها معجزة في لفظها**



لا يُجزم بأن التوراة والإنجيل مُعجزة من حيث اللفظ والنظم كالقرآن، فهذا يرجع إلى اللغة التي أنزل بها وهي العبرانية، وإنما هي مُعجزة لما تضمنته من المعاني، كالإخبار عن الغيوب، وما فيها من الهدى والنور، وما فيها من الإخبار بنبوة محمد <sup>١</sup>.

الوجه الثاني من وجوه إعجاز القرآن: أنه ليس فيه عوج لا من جهة الألفاظ ولا من جهة المعاني، قال الشنقيطي رحمه الله في تعليق له على قوله تعالى ﴿الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً﴾:

أي: لم يجعل فيه اعوجاجاً كائناً ما كان، لا من جهة الألفاظ ولا من جهة المعاني، فألفاظه في غاية الإعجاز والسلامة من العيوب والوصمات، ومعانيه كلها في غاية الكمال، أخباره صدق، وأحكامه عدل ﴿وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً﴾ أي: صدقاً في الأخبار، وعدلاً في الأحكام.<sup>٢</sup>

ثالثاً: ومن وجوه إعجاز القرآن حفظه من التحريف على مر العصور والدهور، ووجه الإعجاز أنه لم يُحفظ كتابٌ من الكتب السماوية كما حُفِظَ هذا الكتاب، وصدق الله ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾<sup>٣</sup>.

رابعاً: ومن وجوه إعجاز القرآن حُسْنُ ما تضمنه القرآن من تشريعات وأحكام، تصلح لجميع البشر ولجميع الأزمنة والأمكنة، وتشمل جميع ما يصلح العباد في دنياهم وآخرتهم، في العقيدة والشريعة والآداب والاقتصاد والسياسة وغيرها، وجعله مستغنٍ عن غيره من القوانين والدساتير.

خامساً: ومن وجوه إعجاز القرآن صدقُ الأخبار التي تضمنها، سواء التي مضت، أو التي تحصل تبعاً مع مرور الزمن أثناء نزل القرآن، أو الآيات التي فيها ذكر بعض الأمور المستقبلية، فأما الأخبار التي مضت فهي كالإخبار عن خلق السماوات والأرض، وقصة آدم وإبليس، ثم قصص الأنبياء السابقين مع أقوامهم، وقصة صاحب الجنتين، وقصة أصحاب الكهف وذي القرنين، وغيرها، جاءت كل هذه الأخبار على لسان نبي أمي لا يعرف القراءة ولا الكتابة.

وتضمّن القرآن كذلك ذكر بعض الأحكام الواردة في التوراة، وبيان كتمان أخبار اليهود لها، حتى تحداهم القرآن بقوله ﴿قل فاتوا بالتوراة إن كنتم صادقين﴾<sup>٤</sup>.

<sup>١</sup> انظر كتاب «النوآت» (٥١٩).

<sup>٢</sup> «الرحلة إلى أفريقيا»، ص ١٨.

<sup>٣</sup> سورة الحجر: ٩.

<sup>٤</sup> سورة آل عمران: ٩٣.

وأما الآيات التي نزلت تَبَعًا مع التنزيل وظهر صدقها فكالآيات التي نزلت لكشف أحوال المنافقين، والآيات التي فيها إجابة على أسئلة، كالآيات التي تَصَدَّرُها قوله ﴿وَيَسْأَلُونَكَ﴾ ونحوها، وكذا المواقف التي كشفت عن صدق الله وعده لنبيه بالنصر في الحروب، وغير ذلك.

وأما الآيات التي فيها أخبار ما سيأتي في المستقبل فوقعت مطابقة لما أخبر فكُدخول المسجد الحرام، وهي في آخر سورة الفتح.

وأيضاً قوله تعالى ﴿سِيَهْزَمِ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدَّبْرَ﴾<sup>١</sup>، فقد روى ابن جرير وابن أبي حاتم أن عمر لما نزلت هذه الآية قال: أيُّ جمع يُهْزَم؟

فلما كان يوم بدر رأيت النبي ﷺ يَثْبُ في الدَّرْعِ ويقول: ﴿سِيَهْزَمِ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدَّبْرَ﴾. وفي رواية لابن أبي حاتم: فعرفتُ تأويلها يومئذ.

وكذلك الآيات التي فيها تقرير عجز الناس عن أن يأتوا بأية مثل آيات القرآن، فعجز الناس فعلا، وكالآيات التي تقرّر حفظ الله لكتابه، كقوله تعالى ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لِحَافِظُونَ﴾، فوقع الأمر كما أخبر، فكم من ملحدٍ حاول إبطال صدق القرآن وعجز، وكالآيات التي تقرّر حصول العزة والكرامة والسيادة والظهور للأمة الإسلامية إن استقامت على أمر الله، فوقع الأمر كما أخبر الله في القرون الثلاثة المفضلة الأولى وما بعدها، قال تعالى ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾<sup>٢</sup>، ثم لما فشا فيهم الشرك والبدع، والبعد عن منهج السلف الصالح في العقيدة والشريعة والسلوك؛ صاروا في ذيل الأمم، وتسلمت عليهم الأمم الأخرى، واحتلوا بلادهم قرونا من الزمن<sup>٣</sup>.

<sup>١</sup> سورة القمر: ٤٥ .

<sup>٢</sup> سورة النور: ٥٥ .

<sup>٣</sup> تعمدت هنا ذكر جملة (واحتلوا بلادهم قرونا) بدل (واستعمروا بلادهم قرونا)، والفضل في هذا الاختيار يعود للعلامة السلفي محمد البشير الإبراهيمي رحمه الله، فقد انتقد كلمة (الاستعمار)، فقال ما معناه إن مادة هذه الكلمة هي (العمارة)، ومن مشتقاتها التعمير وال عمران، كما قال الله تعالى ﴿هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾، والذي وقع من الإفرنج في تلك الحقبة الزمنية هو الخراب لا العمران، فإنهم خربوا الأوطان والأديان والعقول والأفكار والمقومات، وتركوا آثارا وبصمات سيئة بعد انسحابهم من البلاد التي احتلوا وهيمنوا عليها، ومع الأسف فالمصطلح المستعمل بين المسلمين بعد انسحابهم وإلى الآن هو الاستعمار، وهذا خطأ لفظي واضح.

انظر «آثار الإبراهيمي» (٣/٥٠٦ - ٥٠٧).

ومن دلائل صدق القرآن ما جاء فيه من ذكر بعض الأمور العلمية، ثم لما ظهرت الاكتشافات العلمية الحديثة وقعت مطابقة لما أخبر، فمراحل تكوين الإنسان في بطن أمه - مثلا - قد تحدث عنه القرآن قبل أربعة عشر قرنا، بينما لم يهتد علماء الطب إلى مراحل ذلك التكوين إلا في العقود المتأخرة من هذا الزمان. وبيان ذلك أن القرآن الكريم بين أن حياة الإنسان في بطن أمه تمر بخمس مراحل، قال تعالى في مطلع سورة المؤمنون:

﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين\* ثم جعلناه نطفة في قرار مكين\* ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين\* ثم إنكم بعد ذلك لميتون\* ثم إنكم يوم القيامة تبعثون﴾.

فأصل الخلقة هو الأساس، لما خلق الله أبانا آدم عليه السلام من طين، وفي هذا يقول الله تعالى ﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين﴾.

وأما المراحل الخمس التدريجية لتكون الإنسان في بطن أمه فهي مرحلة النطفة ثم العلقة ثم المضغة ثم العظام ثم اللحم فوق العظام.

فقوله: ﴿خلقنا النطفة علقة﴾ أي دمًا أحمر.

وبعد أربعين يومًا تتحول العلقة إلى مضغة، أي قطعة لحم قدر المضغة التي يمضغها الإنسان في فمه.

ثم تتحول المضغة اللينة وتتحول خلقتها إلى عظام.

ثم تُكسى العظام لحماً، ثم يُنشؤه الله خلقاً آخر بنفخ الروح فيه.

فتبارك الله الذي أحسن كل شيء خلقه.

والشاهد من هذا السرد لمراحل خلق الإنسان أن علم الطب الجديد اكتشف هذه المراحل كلها، ثم تفاجأ بأنه هذه المراحل المذكورة في القرآن منذ أربعة عشر قرنا، فاستدلوا من هذا على أن القرآن كلام الله، لا يمكن أن يكون الذي أتى به بشر، فسبحان من بهر بحكمته العقول.

وكذا الأمر بالنسبة لتكوين البحار والجبال وغيرها، فقد جاء ذكر تكوينها الطبيعي في القرآن، وبعد ظهور المكتشفات الحديثة وقعت مطابقة لما أخبر به.

وقد أُلقت في مطابقة الاكتشافات العلمية لما جاء به القرآن مؤلفات كثيرة، وأسلم بسبب هذا التطابق عددٌ ليس بالقليل من علماء الطبيعة، ومن أراد التوسع في ذلك فليرجع إلى مطبوعات هيئة الإعجاز العلمي التابعة لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة.

سادسا: ومن وجوه إعجاز القرآن تنوع العلوم التي احتواها، فعلاوة على أن القرآن الكريم قد قرر العقيدة الصحيحة فيما يتعلق بصفات الله تعالى وأحقيته بالعبادة، وهَدَمَ أساطير الخرافة والتعلق بال مخلوقات ؛ فإنه

لم يقتصر على هذا، فقد اعترف منه علماء النحو والبلاغة واللغة الشيء الكثير، بل هو المعيار الأساس لضبط علومهم.

فتنوع العلوم هذه كلها تدل على أن النبي  $\rho$  صادق فيما يُبلَّغُه عن ربه، فإنه من المستقر المعلوم عند قومه أنه أُمِّيٌّ، لا يقرأ ولا يكتب، فمن أين سيأتي بكل هذه الأخبار القرآنية لولا أنه يُوحى إليه من ربه؟ قال تعالى ﴿وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبتلون﴾\* بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بها إلا المبتلون<sup>١</sup>.

**سابعاً:** ومن وجوه إعجاز القرآن تأثيره البليغ في النفوس، سواء كانت نفوساً مؤمنة أو كافرة، وصدق الله ﴿لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله﴾<sup>٢</sup>، وقوله ﴿الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله﴾<sup>٣</sup>. وقد تأثر بالقرآن بعض صناديد الكفر من قريش، ومن ذلك قصة الوليد بن المغيرة لما سمع القرآن، فقد روى ابن جرير في «تفسيره»<sup>٤</sup> والحاكم في «مستدرکه»<sup>٥</sup> واللفظ له عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي  $\rho$  فقرأ عليه القرآن، فكانه رَقَّ له، فبلغ ذلك أبا جهل فأتاه فقال: يا عم، إن قومك يرون أن يجمعوا لك مالا.

قال: لِمَ؟

قال: ليعطوكه، فإنك أتيت محمداً لتعرض لما قيله<sup>٦</sup>.

قال: قد علمت قريش أني من أكثرها مالا.

قال: فقل فيه قولاً يبلغ قومك أنك منكّر له، أو أنك كاره له.

قال: وماذا أقول؟ فوالله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مني، ولا أعلم برجزٍ ولا بقصيدةٍ مني، ولا بأشعار الجن، والله ما يُشبهه الذي يقول شيئاً من هذا، ووالله إن لقوله الذي يقول حلاوة، وإن عليه لطلّوة<sup>٧</sup>، وأنه لثمرٌ أعلاه، مُغْدِقٌ<sup>٨</sup> أسفله، وإنه ليعلو وما يُعلو، وإنه لِيَحْطِمُ ما تحته.

<sup>١</sup> سورة العنكبوت: ٤٨ - ٤٩ .

<sup>٢</sup> سورة الحشر: ٢١ .

<sup>٣</sup> سورة الزمر: ٢٣ .

<sup>٤</sup> تفسير سورة المدثر، الآيات ١٨ - ٢٥ .

<sup>٥</sup> (٥٠٧/٢).

<sup>٦</sup> أي لتعرض نفسك لما عنده من مال، يريدون أنه طمع بما عنده، فلهذا ذهب إليه.

<sup>٧</sup> أي رونقا وحسنا، وقد تفتح الطاء. انظر «النهاية».

<sup>٨</sup> الغدق هو الماء الكثير، وفي التنزيل (لأسقيناهم ماء غدقا)، والمقصود بالمُغْدِقُ في الكلام هنا هو كثرة خيره. انظر «لسان العرب».

قال: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه.

قال: فدعني حتى أفكر.

فلما فكّر قال: هذا سحر يؤثر، يَأْثُرُهُ عَنْ غَيْرِهِ<sup>١</sup>، فنزلت (ذريني ومن خلقت وحيداً)<sup>٢</sup>.

وأخرج ابن إسحاق في السيرة<sup>٣</sup> والبيهقي في «الدلائل»<sup>٤</sup> واللفظ له عن الزهري قال: حَدَّثْتُ أَنَّ أَبَا جَهْلٍ وَأَبَا سَفِيَانَ وَالْأَخْنَسَ بْنَ شُرَيْقٍ خَرَجُوا لَيْلَةَ لَيْسْتَمَعُوا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَصَلِّي بِاللَّيْلِ فِي بَيْتِهِ، وَأَخَذَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ مَجْلِسًا لَيْسْتَمَعُ فِيهِ، وَكُلٌُّ لَا يَعْلَمُ بِمَكَانِ صَاحِبِهِ، فَبَاتُوا يَسْتَمِعُونَ لَهُ، حَتَّى إِذَا أَصْبَحُوا وَطَلَعَ الْفَجْرُ تَفَرَّقُوا، فَجَمَعَهُمُ الطَّرِيقُ فَتَلَاوَمُوا وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: (لَا تَعُودُوا، فَلَوْ رَأَى بَعْضُ سَفَهَائِكُمْ لِأَوْقَعْتُمْ فِي نَفْسِهِ شَيْئًا)، ثُمَّ انصَرَفُوا، حَتَّى إِذَا كَانَ اللَّيْلَةُ الثَّانِيَةَ عَادَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ إِلَى مَجْلِسِهِ، فَبَاتُوا يَسْتَمِعُونَ لَهُ حَتَّى إِذَا طَلَعَ الْفَجْرُ تَفَرَّقُوا، فَجَمَعْتَهُمُ الطَّرِيقَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ مِثْلَ مَا قَالُوا أَوَّلَ مَرَّةٍ، ثُمَّ انصَرَفُوا، فَلَمَّا كَانَتِ اللَّيْلَةُ الثَّلَاثَةَ أَخَذَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ مَجْلِسَهُ، فَبَاتُوا يَسْتَمِعُونَ لَهُ، حَتَّى إِذَا طَلَعَ الْفَجْرُ تَفَرَّقُوا، فَجَمَعْتَهُمُ الطَّرِيقَ، فَقَالُوا: (لَا نَبْرَحُ حَتَّى نَتَعَاهدَ لَا نَعُودُ)، فَتَعَاهدُوا عَلَى ذَلِكَ ثُمَّ تَفَرَّقُوا، فَلَمَّا أَصْبَحَ الْأَخْنَسُ بْنُ شُرَيْقٍ أَخَذَ عَصَاهُ ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى أَتَى أَبَا سَفِيَانَ فِي بَيْتِهِ فَقَالَ: أَخْبِرْنِي يَا أَبَا حَنْظَلَةَ عَنْ رَأْيِكَ فِيمَا سَمِعْتَ مِنْ مُحَمَّدٍ.

فقال: يا أبا ثعلبة، والله لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف ما يراد بها.

قال الأخنس: وأنا، والذي حلفت به.

ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل فقال: يا أبا الحكم، ما رأيك فيما سمعت من محمد؟

قال: ماذا سمعت؟ تنازعنا نحن وبنو عبد مناف في الشرف، أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تجاثينا على الركب وكنا كَفَرَسِي رِهَانٍ ؛ قالوا: (منا نبي يأتيه الوحي من السماء!)، فمتى ندرك هذه؟ والله لا نؤمن به أبداً ولا نصدقه، فقام عنه الأخنس بن شريق. انتهى.

ولما سمع جُبَيْرُ بْنُ مَطْعَمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقْرَأُ سُورَةَ الطُّورِ فَبَلَغَ هَذِهِ الْآيَاتِ ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ \* أَمْ خُلِقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَّا يُؤْفِقُونَ \* أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمْ الْمُسْتَطِرُونَ﴾<sup>٥</sup>، وَكَانَ جُبَيْرٌ يَوْمئِذٍ مُشْرِكًا ؛ قَالَ : كَادَ قَلْبِي أَنْ يَطِيرَ، وَذَلِكَ أَوَّلَ مَا وَقَرَ الْإِيمَانَ فِي قَلْبِي.<sup>٦</sup>

<sup>١</sup> أي يرويه عن غيره.

<sup>٢</sup> سورة المدثر: ١١ .

<sup>٣</sup> كتاب «السيرة»، ص (١٦٩)، تحقيق محمد حميد الله.

<sup>٤</sup> باب جماع أبواب المبعث (٢/٢٠٦).

<sup>٥</sup> سورة الطور: ٣٥ - ٣٧ .

<sup>٦</sup> رواه البخاري مفرقا، (٤٨٥٣، ٤٠٢٣).

ولما كان القرآن يتصف بهذا التأثير البليغ في النفوس ؛ تعاهد الكفار ألا يستمعوا للقرآن، كما أخبر الله تعالى عنهم بقوله ﴿وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون﴾<sup>١</sup>، وما ذاك إلا لتأثيره في نفوسهم، وإحساسهم به في أعماقهم، ولكنهم قوم يستكبرون عن سماع الحق. وقد أثار القرآن في بعض النصارى فآمنوا به، قال تعالى عنهم ﴿وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين﴾<sup>٢</sup>.

أما المؤمنون فتأثير القرآن فيهم واضح، قال تعالى ﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً﴾<sup>٣</sup>، والكلام في هذا يطول، وهو موجود في مظانه، ويكفي في هذا ما ذكره جلال الدين السيوطي رحمه الله في كتابه «الإتقان في علوم القرآن»<sup>٤</sup> أن جماعة ماتوا عند سماع آيات من كتاب الله، وقد أفرَدَ أسماءهم في مصنف.

**ثامنا: ومن وجوه إعجاز القرآن الكريم كونه شفاء من الأمراض الحسية والمعنوية (أي النفسية)، فأما الأمراض الحسية فقد حذر القرآن من جملة من المطعومات والمشروبات والسلوكيات على سبيل الوقاية من الأمراض، ومن ذلك تحريم شرب الخمر وأكل لحم الخنزير، وارتكاب الزنا واللواط، وكذا إتيان النساء في فترة الحيض.**

وأما إذا أصيب الإنسان بمرض فقد أرشد النبي ﷺ إلى التداوي بقراءة سورة الفاتحة، كما أرشد القرآن إلى التداوي بالعسل، ﴿فيه شفاء للناس﴾<sup>٥</sup>.

وأما الأمراض النفسية فالقرآن هو أفضل الأدوية لها، بل إن سبب هذه الأمراض هو البعد عن القرآن، ﴿ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا﴾<sup>٦</sup>، ومن تلك الأمراض القلق والاكتئاب والسحر والأخلاق الرديئة من طمع وكبر والانحراف وراء الشهوات وغير ذلك، وذلك أن هذه الأمراض تحصل نتيجة الخواء الروحي، وليس للخواء الروحي دواء إلا الرجوع إلى الله تعالى، وصدق الله ﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾<sup>٧</sup>، (ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين)<sup>٨</sup>، (قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين)<sup>٩</sup>، (قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء)<sup>١٠</sup>.

<sup>١</sup> سورة فصلت: ٢٦ .

<sup>٢</sup> سورة المائدة: ٨٣ .

<sup>٣</sup> سورة الأنفال: ٢ .

<sup>٤</sup> باب: النوع الرابع والستون في إعجاز القرآن.

<sup>٥</sup> سورة النحل: ٦٩ .

<sup>٦</sup> سورة طه: ١٢٤ .

<sup>٧</sup> سورة الرعد: ٢٨ .

وقد شفى الله بقراءة القرآن الألوف المؤلفة ممن أصيبوا بالأمراض العضوية والنفسية على مرّ العصور، ولا يزال هذا يُشاهد ويُمارس، بل قد صار الاستشفاء بالقرآن مُقرّرا في بعض العيادات النفسية.

**تاسعا:** ومن وجوه إعجاز القرآن يُسرُّ حفظه عن ظهر قلب لمن أراد ذلك، خلافا لغيره من الكتب، فقد حُفِظ القرآن كاملا في صدور الملايين من الناس منذ عصر النبوة إلى يومنا هذا، وقد حفظه من هو من المكفوفين، كما حفظه من هو من الأعاجم الذين يتكلمون اللغة العربية إلا قليلا، فسبحان من بهر بكتابه العقول، وسيستمر حفظه في صدور الناس إلى نهاية الدنيا.

وهذا الوجه من وجوه الإعجاز لم - ولن - يحصل لغيره من الكتب إطلاقا.

**عاشرا:** ومن وجوه إعجاز القرآن أنه أكثر الكتب تلاوة على وجه الأرض، فقد صرحت الموسوعة البريطانية بذلك.<sup>٤</sup>

### فصل في بيان ما ينافي الإيمان بالكتب

الإيمان بالكتب يضادّه أحد عشر أمرا:

**الأول:** تكذيبها، أي ادعاء أنها لم تنزل من عند الله، ومن ذلك تكذيب الكفار بأن القرآن كلام الله وقالوا إنه مفترى من عند البشر، حاشا لله، وقد أكذب الله تعالى هذه المقولة في آيات كثيرة منها قوله تعالى ﴿أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله﴾<sup>٥</sup>.

**الثاني:** ومما ينافي الإيمان بالكتب تحريفها كما هو واقع التوراة والإنجيل، وقد تقدم الكلام في هذا الموضوع.

**الثالث:** معارضة القرآن بالعقول، وادعاء أن هناك ما هو أحسن منه وأفضل.

**الرابع:** ومما ينافي الإيمان بالكتب ادعاء أن القرآن الموجود بأيدي المسلمين اليوم ناقص، ومن هذا قول الرافضة إن القرآن أُتِّص ثلثاه، وإن هذين الثلثين متعلقان بفضائل أهل البيت، ويدعون أن القرآن الكامل سيخرج في آخر الزمان!!

<sup>١</sup> سورة الإسراء: ٨٢ .

<sup>٢</sup> سورة يونس: ٥٧ .

<sup>٣</sup> سورة فصلت: ٤٤ .

<sup>٤</sup> المرجع: «دائرة المعارف البريطانية»، مادة «محمد».

<sup>٥</sup> سورة يونس: ٣٨ .

**الخامس:** ومما ينافي الإيمان بالقرآن العظيم تفضيل بعض الأوراد عليه، كما تقوله فرقة التيجانية وبعض فرق المتصوفة، قالوا: إن قراءة صلاة الفاتح مرة واحدة خير من قراءة القرآن ستة آلاف مرة!<sup>١</sup>

**السادس:** ومما يقدح في الإيمان بالقرآن العظيم قدحا عظيما، الإعراض عن التحاكم إليه، واستبداله بشرائع البشر وقوانينهم ودساتيرهم الوضعية، وفاعل ذلك حكمه من جهة تكفيره أو عدمه بحسب حاله، فإن كان الإعراض عن التحاكم إليه منطلقاً من تنقُّص القرآن فهذا كُفْرٌ لا ريب فيه، كمن يحكم بغير ما أنزل الله في القرآن معتقداً أنه لا يصلح للتحاكم إليه في زماننا، أو إن شريعة البشر مساوية لما في القرآن في العدل والحكمة أو أحسن منه، فهذا كفر صريح، لأنه تكذيب للقرآن، وطعنٌ في حكم الله وشرعِهِ، ومن ثم فإنه تَنقُّصٌ له، وتَنقُّصٌ لله كفر، بل يلزم منه تفضيل المخلوقين على الخالق تعالى في بعض صفاتهم، كصفة العلم والحكمة وغيرها، وهذا كفر صريح لا شك فيه، والواجب هو الإيمان بأن الله هو الحكيم الخبير العليم بمصالح خلقه، قال تعالى ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾<sup>٢</sup>.

وأما إن كان الإعراض عن التحاكم إليه لهوى في النفس من ظلم أو رشوة أو نحوه، مع اعتقاده بأن حكم الله يجب العمل به وأنه الأصلح للبشر؛ فهذا الحاكم لا يكفر، سواء كان والياً أو قاضياً، بل يكون قد ارتكب كبيرة من كبائر الذنوب، وهو المعروف بالكفر الأصغر.

والكلام في الحكم بغير ما أنزل الله يطول، وقد تكلم أهل العلم فيه في كتب التفسير والعقائد وغيرها. والإعراض عن التحاكم إلى ما أنزل الله يعتبر من ألوان الانحراف التي وقع فيها من قبلنا من الأمم كاليهود والنصارى، عيادا بالله، فمن وقع في ذلك فقد تشبه بهم، وبئس من تُشَبَّه بهم.

**السابع:** ومما ينافي الإيمان بالقرآن تفسيره بالأهواء والأقوال الباطلة التي لم تثبت عن السلف الصالح، كتفسيرات الجهمية والمعتزلة والرافضة والتفسير الإشاري ونحو ذلك.

**الثامن:** ومما ينافي الإيمان بالقرآن إهانته كما يفعل السحرة من وضعه في المزابل أو في أماكن قدرة وتلوينه وتمزيقه، وهذا كفرٌ بالله العظيم، وللعلم فإنه الشياطين لا تُثَمِّم للساخر سحره إلا بإهانة القرآن العظيم.

**التاسع:** ومما يقدح في الإيمان بالقرآن الإعراض عن العمل بأحكامه، سواء المتعلقة بجانب الاعتقاد أو العبادات أو الآداب والسلوك.

#### تنبيه

<sup>١</sup> انظر للتوسع في معرفة ما عليه هذه الفرقة كتاب «التيجانية» لعلي بن محمد الدخيل الله، (ص ١١٦ وما بعدها)، الناشر: دار طيبة - الرياض.

<sup>٢</sup> سورة الملك: ١٤ .



ومما ينبغي أن يُعلم أن أعداء الدين من يهودٍ ونصارى وملجدين ومقلّدين لهم دور هام في صد المسلمين عن العمل بالقرآن منذ القدم، ومن ذلك قول «غلاستون» رئيس وزراء بريطانيا سابقا في مجلس العموم البريطاني: «ما دام هذا القرآن موجودا في أيدي المسلمين فلن تستطيع «أوربة» السيطرة على الشرق».

وقال الحاكم الفرنسي في الجزائر في ذكرى مرور مئة سنة على استعمار الجزائر: «إننا لن نتصر على الجزائريين ما داموا يقرؤون القرآن ويتكلمون العربية، فيجب أن نُزيل القرآن العربي من وجودهم ونقتلع اللسان العربي من ألسنتهم»<sup>١</sup>.

**العاشر:** ومما ينافي الإيمان بالقرآن؛ **القول بخلق القرآن**، وأنه ليس كلام الله تعالى على الحقيقة، وإنما هو معانٍ نفسية خلقها الله في غيره، وهذه عقيدة فرقة الجهمية. والصواب الذي عليه أهل الإسلام أن القرآن كلام الله غير مخلوق.

**الحادي عشر:** ومما ينافي الإيمان بالقرآن **عدم الإيمان بالسنة الشريفة**، وهذا كفر بالقرآن أصلا، لأنها - أي السنة الشريفة - وحي من عند الله، تُبين القرآن وتفسره، وتُخصّص عموماته، وتُقيّد مطلقه.

ثم إن الله تعالى أمر الله بطاعة رسوله ﷺ، ولا يكون ذلك إلا بالإيمان بالسنة الشريفة، قال تعالى (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) ﷻ، وقال تعالى (من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا) ﷻ<sup>٢</sup>.

هذه أهم مظاهر الإعراض عن القرآن العظيم، نسأل الله أن يُجنبنا إياها، وأن يوفقنا للإيمان بكتابه حق الإيمان، وقراءته وتدبره والعمل به.

### فصل في ثمرات الإيمان بالكتب<sup>٣</sup>

الإيمان بالكتب يثمر ثمرات جليلة منها:

**الأولى:** العلم بعناية الله تعالى بعباده، حيث أنزل لكل قوم كتابا يهديهم به.

**الثانية:** العلم بحكمة الله تعالى في شرعه حيث شرّع لكل قوم ما يناسب أحوالهم، كما قال الله تعالى ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَا جَا﴾<sup>١</sup>.

<sup>١</sup> يُنظر للتوسع كتاب «قادة الغرب يقولون: دمروا الإسلام، أبيدوا أهله»، لجلال العالم (ص: ٤٠).

<sup>٢</sup> سورة النساء: ٨٠.

<sup>٣</sup> استفدت جُلَّ هذا الفصل من كتاب «شرح ثلاثة الأصول» لابن عثيمين، ص ٩٥، و «شرح أصول الإيمان»، ص ٣١، الناشر: دار ابن خزيمة - الرياض.

الثالثة: شكر نعمة الله في ذلك.

الرابعة: الهداية إلى الصراط المستقيم والدين القويم الذي ارتضاه الله سبحانه وتعالى لعباده.

الخامسة: السلامة من الضلال والانحراف والتخبط الذي يقع فيه البشر بسبب بعدهم عن شريعة الله المذكورة في كتبه المنزلة.

تم الكتاب بحمد الله، وصلى الله على نبينا محمد، وآله وصحبه وسلم.

وكتبه، ماجد بن سليمان الرسي

هاتف: ٠٠٩٦٦٥٠٥٩٠٦٧٦١

بريد: [majed.alrassi@gmail.com](mailto:majed.alrassi@gmail.com)

موقع: [www.islamhouse.ar/author/٨٦٢٤](http://www.islamhouse.ar/author/٨٦٢٤)